صلى الله عليه وسلم على أشر حال بعث عليها نبيا من الأنبياء فى فترة جاهلية ، مايرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للايمان يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه فى النار ، وأنها التى قال الله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، وقوله تعالى (واجعلنا للمتقين إماما) قال ابن عباس والحسن والسدى وقتادة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا فى الخير. وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا ، وأحسن مآبا ، ولهذا ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية»

﴿ أُوْلَٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ماذكر من الصفات الجميلة ، والأقوال والأفعال الجليلة ، قال بعد ذلك كله (أولئك) أى المتصفون بهذه (يجزون) يوم القيامة (الغرفة) وهى الجنة ، قال أبو جعفر الباقر وسعيد ابن جبير والضحاك والسدى سميت بذلك لارتفاعها (بما صبروا) أى على القيام بذلك (ويلقون فيها) أى فى الجنة (تحية وسلاما) أى يبتدرون فيها بالتحية والإكرام . ويلقون التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وقوله تعالى (خالدين فيها) أى مقيمين لايظعنون ولا يحولون ولا يموتون ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولا كما قال تعالى (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض) الآية . وقوله تعالى (حسنت مستقراً ومقاما) أى حسنت منظرا وطابت مقيلا ومنزلا . ثم قال تعالى (قل ما يعبأ بكم ربى) أى لايبالى ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه ، فانه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا . قال مجاهد وعمرو بن شعيب (مايعبأ بكم ربى) يقول ما يفعل بكم ربى ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (قل مايعبأ بكم ربى) الآية يقول لولا إيمانكم ، وأخبر تعالى الكفار أنه لاحاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين ، وقوله تعالى (فقد كذبتم) أيها الكافرون (فسوف يكون لزاماً) أى فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم يعنى مقتضيا لعذابكم وهلاكم ودماركم فى الدنيا والآخرة ، ويدخل فى ذلك يوم بدر كما فسره بذلك عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومحمد بن كعب القرظى ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم وقال الحسن البصرى (فسوف يكون لزاماً) أى يوم القيامة ، ولا منافاة بينهما. آخر تفسير سورة الفرقان ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الشعراء وهى مكية ﴾

﴿ ووقع فى تفسير مالك المروى عنه تسميتها سورة الجامعة ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طسٓمٓ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟

إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور فقد تكلمنا عليه فى أول تفسير سورة البقرة . وقوله تعالى (تلك آيات الكتاب المبين) أى هذه آيات القرآن المبين أى البين الواضح الجلى الذى يفصل بين الحق والباطل والغى والرشاد . وقوله تعالى (لعلك باخع) أى مهلك (نفسك) أى مما تحرص وتحزن عليهم (ألا يكونوا مؤمنين) وهذه تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) كقوله (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) الآية . قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم (لعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك قال الشاعر :

ألا أيهذا الباخع الحزن نفسه لشىء نحته عن يديه المقادر

ثم قال تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا ولكن لا نفعل ذلك لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختيارى . وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا * أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الآية فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم ثم قال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) أى كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وقال تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الآية ولهذا قال تعالى ههنا (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) أى فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه وجلالة قدره وشأنه الذين اجترءوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذى خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم من زروع وثمار وحيوان . قال سفيان الثورى عن رجل عن الشعبى : الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم (إن فى ذلك لآية) أى دلالة على قدرة الخالق للأشياء الذى بسط الأرض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه . وقوله (وإن ربك لهو العزيز) أى الذى عز كل شىء وقهره وغلبه (الرحيم) أى بخلقه فلا يعجل على من عصاه بل يؤجله وينظره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر . قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن إسحاق : العزيز فى نقمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره ، وقال سعيد بن جبير : الرحيم بمن تاب إليه وأناب

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي

مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴾

يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الأيمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ، وأمره بالذهاب إلى فرعون وملئه ، ولهذا قال تعالى (أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون * قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون * ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون) هذه أعذار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري — إلى قوله — قد أوتيت سؤلك يا موسى) وقوله تعالى (ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون) أي بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر (قال كلا) أي قال الله له لا تخف من شيء من ذلك كقوله (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا — أي برهانا — فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) (فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) كقوله (إنني معكما أسمع وأرى) أي إنني معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي (فائتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) كقوله في الآية الأخرى (إنا رسولا ربك) أي كل منا أرسل إليك (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك فإنهم عباد الله المؤمنون وحز به المخلصون وهم معك في العذاب المهين ؛ فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنالك بالكلية ونظر إليه بعين الازدراء والغمص فقال (ألم نربك فينا وليدا) الآية أي أما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك ولهذا قال (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين . قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير (قال فعلتها إذا) أي في تلك الحال (وأنا من الضالين) أي قبل أن يوحى إلي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة . قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم (وأنا من الضالين) أي الجاهلين ، قال ابن جريج وهو كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ففررت منكم لما خفتكم) الآية أي انفصل الحال الأول وجاء أمر آخر فقد أرسلني الله إليك فان أطعته سلمت وإن خالفته عطبت ، ثم قال موسى (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) أي وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيدا وخدماً تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك ، أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم أي ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة إلى ما فعلت بهم

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده في قوله (وما رب العالمين) وذلك أنه كان يقول لقومه (ما علمت لكم من إله غيري) (فاستخف قومه فأطاعوه) وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون ، فلما قال له موسى إني رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فانه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين (قال رب السموات والأرض وما بينهما) أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب

الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفلى وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير ، وما يحتوى عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون (إن كنتم موقنين) أى إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذه ، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله (ألا تستمعون ؟) أى ألا تعجبون من هذا فى زعمه أن لكم إلها غيرى ؟ فقال لهم موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) أى خالقكم وخالق آبائكم الأولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه (قال) أى فرعون لقومه (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) أى ليس له عقل فى دعواه أن ثم ربا غيرى (قال) أى موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة فأجاب موسى بقوله (رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) أى هو الذى جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب ، والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذى سخرها فيه وقدرها فان كان هذا الذى يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقا فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا كما قال تعالى عن (الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب) الآية . ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ فى موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه :

﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه فظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال (لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) فعند ذلك قال موسى (أولو جئتك بشىء مبين ؟) أى ببرهان قاطع واضح (قال فائت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين) أى ظاهر واضح فى غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج (ونزع يده) أى من جيبه (فاذا هى بيضاء للناظرين) أى تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته إلى التكذيب والعناد فقال للملأ حوله (إن هذا الساحر عليم) أى فاضل بارع فى السحر ، فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة ، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) الآية أى أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا على فيه ماذا أصنع به ؟ (قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم) أى أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد ، فأجابهم إلى ذلك . وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم فى ذلك ليجتمع الناس فى صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس فى النهار جهرة

﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا

لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ * فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾

ذكر الله تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط فى سورة الأعراف وفى سورة طه وفى هذه السورة : وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون ، وهذا شأن الكفر والإيمان ماتواجها وتقابلا إلا غلبه الإيمان (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية ولهذا لما جاء السحرة وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخييلا فى ذلك ، وكان السحرة جمعا كثيرا ؟ وجما غفيرا ، قيل كانوا اثنى عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا ، وقيل سبعة عشر ألفا ، وقيل تسعة عشر ألفا ، وقيل بضعة وثلاثين ألفا ، وقيل ثمانين ألفا ، وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم . قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤساؤهم وهم :سابور وعاذور وحطحط ومصفى ، واجتهد الناس فى الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أومن موسى بل الرعية على دين ملكهم (فلما جاء السحرة) أى إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطاقا وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته . فقام السحرة بين يدى فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا أى هذا الذى جمعتنا من أجله فقالوا (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين) أى وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندى وجلسائى ، فعادوا إلى مقام المناظرة (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا) وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى (ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئا هذا بثواب فلان ، وقد ذكر الله تعالى فى سورة الأعراف أنهم (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال فى سورة طه (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى — إلى قوله — ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال ههنا (فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون) أى تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا ، قال الله تعالى (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون — إلى قوله — رب موسى وهارون) فكان هذا أمرا عظيما جدا وبرهانا قاطعا للعذر وحجة دامغة ، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى فى الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذى أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة ، فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهددهم ويتوعدهم ويقول (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) وقال (إن هذا لمكر مكر تموه فى المدينة) الآية

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

تهددهم فلم ينفع ذلك فيهم وتوعدهم فما زادهم إلا إيمانا وتسليما . وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من أن هذا الذى جاء به موسى لا يصدر عن بشر إلا أن يكون الله قد أيده به وجعله له حجة ودلالة

على صدق ماجاء به من ربه ، ولهذا لما قال لهم فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟) أى كان ينبغى أن تستأذنونى فيما فعلتم ولا تفتاتوا على فى ذلك فان أذنت لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم فانى أنا الحاكم المطاع (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذى أفادهم صناعة السحر ؟ هذا لايقوله عاقل . ثم توعدهم فرعون بقطع الأيدى والأرجل والصلب فقالوا (لاضير) أى لاحرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالى به (إنا إلى ربنا منقلبون) أى المرجع إلى الله عز وجل وهو لايضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه مافعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا (إنا نطمع أن يغفرلنا ربنا خطايانا) أى ما قارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر (إن كنا أول المؤمنين) أى بسبب أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان . فقتلهم كلهم .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببنى إسرائيل ليلا من مصر وأن يمضى بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل . خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حلياً كثيراً ، وكان خروجه بهم فيما ذكره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر ، وذكر مجاهد رحمه الله أنه كسف القمر تلك الليلة فالله أعلم . وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بنى إسرائيل عليه، فاحتمل تابوته معهم ويقال إنه هو الذى حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحتملوه معهم . وقد ورد فى ذلك حديث رواه ابن أبى حاتم رحمه الله فقال : حدثنا على بن الحسين حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبى إسحق عن ابن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابى فأكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعاهدنا » فأتاه الأعرابى فقال له رسول الله ﷺ « ماحاجتك ؟ » قال ناقة برحلها وأعنز يحتلبها أهلى ، فقال « أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى إسرائيل ؟ » فقال له أصحابه وما عجوز بنى إسرائيل يارسول الله ؟ قال « إن موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببنى إسرائيل أضل الطريق فقال لبنى إسرائيل ماهذا ؟ فقال له علماء بنى إسرائيل نحن نحدثك أن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لانخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى فأيكم يدرى أين قبر يوسف ؟ قالوا مايعلمه إلا عجوز من بنى إسرائيل ، فأرسل اليها فقال لها دلينى على قبر يوسف ، فقالت والله لاأفعل حتى تعطينى حكمى ، فقال لها وما حكمك ؟ قالت حكمى أن أكون معك فى الجنة ، فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها حكمها ـ قال ـ فانطلقت معهم إلى بحيرة ـ مستنقع ماء ـ فقالت لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوه قالت احفروا فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار» وهذا حديث غريب جدا والأقرب أنه موقوف والله أعلم : فلما أصبحوا وليس فى ناديهم داع ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بنى إسرائيل لما يريد الله به من الدمار ، فأرسل سريعا فى بلاده حاشرين أى من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم (إن هؤلاء) يعنى بنى إسرائيل (لشرذمة قليلون) أى لطائفة قليلة (وإنهم لنا لغائظون) أى كل وقت يصل منهم الينا مايغيظنا (وإنا لجميع حاذرون) أى نحن كل وقت نحذر من غائلتهم وقرأ طائفة من السلف (وإنا لجميع حذرون) أى مستعدون بالسلاح ، وإنى أريد أن أستأصل شأفتهم وأبيد

خضراءهم فجوزى فى نفسه وجنده بما أراد لهم ، قال الله تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم) أى فخرجوا من هـذا النعيم إلى الجحيم وتركوا تلك المنازل العاليـة والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر فى الدنيا (كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها) الآية وقال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) الآيتين .

﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن فرعون خرج فى محفل عظيم وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية فى زمانه أولى الحل والعقد والدول من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، فأما ماذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنه خرج فى ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دهم ففيه نظر . وقال كعب الأحبار فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم وفى ذلك نظر ، والظاهر أن ذلك من مجازفات بنى إسرائيل والله سبحانه وتعالى أعلم ، والذى أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم إذ لافائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم (فأتبعوهم مشرقين) أى وصلوا إليهم عند شروق الشمس وهوطلوعها (فلما تراءى الجمعان) أى رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده فلهذا قالوا (إنا لمدركون * قال كلا إن معى ربى سيهدين) أى لايصل اليكم شىء مما تحذرون فان الله سبحانه هو الذى أمرنى أن أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لايخلف الميعاد ، وكان هرون عليه السلام فى المقدمة ومعه يوشع بن نون ومؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام فى الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم وقفوا لايدرون مايصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام يانبى الله ههنا أمرك ربك أن تسير ؟ فيقول نعم فاقترب فرعون وجنوده ولم يبق إلا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال انفلق باذن الله . وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : يامن كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء والكائن بعد كل شىء اجعل لنا مخرجا فأوحى الله اليه (أن اضرب بعصاك البحر) وقال قتادة أوحى الله تلك الليلة إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع فبات البحر تلك الليلة وله اضطراب ولا يدرى من أى جانب يضربه موسى فلما انتهى اليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يانبى الله أين أمرك ربك عز وجل ؟ قال أمرنى أن أضرب البحر قال فاضربه ، وقال محمد بن إسحق أوحى الله - فيما ذكر لى - إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضا فرقا من الله تعالى وانتظارا لما أمره الله ، وأوحى الله إلى موسى (أن اضرب بعصاك البحر) فضربه بها ففيها سلطان الله الذى أعطاه فانفلق ، وذكر غير واحد أنه جاءه فكناه فقال انفلق على أباخالد باذن الله . قال الله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) أى كالجبل الكبير ، قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم . وقال عطاء الخراسانى : هو الفج بين الجبلين وقال ابن عباس : صار البحر اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق ، وزاد السدى وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ،

وقام الماء على حيله كالحيطان وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الأرض قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) وقال فى هذه القصة (وأزلفنا الآخرين ثم) أى هنالك قال ابن عباس وعطاء الخراسانى وقتادة والسدى (وأزلفنا) أى قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيناهم اليه (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) أى أنجينا موسى وبنى إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك ، وروى ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس بن أبى إسحق عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببنى إسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت ، وقال لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر فقال له : انفرق فقال له البحر قد استكبرت يا موسى وهل انفرقت لأحد من ولد آدم فأنفرق لك ؟ قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أمن أمرت يا نبى الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه يعنى البحر فأقحم فرسه فسبح به فخرج فقال أمن أمرت يا نبى الله قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج فقال أمن أمرت يا نبى الله ؟ قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت : قال فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر سطا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتتام أصحاب فرعون التقى البحر عليهم فأغرقهم ، وفى رواية إسرائيل عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فمارئى سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله ، ثم قال تعالى (إن فى ذلك لآية) أى فى هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة (وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيره .

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء . أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يتلوه على أمته ليقتدوا به فى الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبرى من الشرك وأهله فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل أى من صغره إلى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل (فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أى ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أى مقيمين على عبادتها ودعائها (قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) يعنى اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) أى إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير فلتخلص إلى بالمساءة فإنى عدو لها لا أبالى بها ولا أفكر فيها ، وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) الآية وقال هود عليه السلام (إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون * إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم) وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم فقال (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) الآية . وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم — إلى قوله — حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون * إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة) يعنى لا إله إلا الله

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾

يعنى لاأعبد إلا الذى يفعل هذه الأشياء (الذى خلقنى فهو يهدين) أى هو الخالق الذى قدر قدراً وهدى الخلائق اليه فكل يجرى على ماقدر له وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى هو خالقى ورازقى بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية فساق المزن وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد وأنزل الماء عذبا زلالا يسقيه مما خلق أنعاما وأناسى كثيرا . وقوله (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه ولكن أضافه إلى نفسه أدبا كما قال تعالى آمرا للمصلى أن يقول (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة فأسند الانعام والهداية إلى الله تعالى والغضب حذف فاعله أدبا وأسند الضلال إلى العبيد كما قالت الجن (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) وكذا قال إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) أى إذا وقعت فى مرض فإنه لايقدر على شفائى أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة اليه (والذى يميتنى ثم يحيين) أى هو الذى يحيى ويميت لايقدر على ذلك أحد سواه فإنه هو الذى يبدئ ويعيد (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) أى لايقدر على غفران الذنوب فى الدنيا والآخرة إلا هو ومن يغفر الذنوب إلا الله وهو الفعال لما يشاء

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ * وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ * وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ * وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتيه ربه حكما . قال ابن عباس وهو العلم ، وقال عكرمة هو اللب ، وقال مجاهد هو القرآن ، وقال السدى هو النبوة . وقوله (وألحقنى بالصالحين) أى اجعلنى مع الصالحين فى الدنيا والآخرة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار « اللهم فى الرفيق الأعلى » قالها ثلاثاً . وفى الحديث فى الدعاء « اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدلين » وقوله (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى واجعل لى ذكرا جميلا بعدى أذكر به ويقتدى بى فى الخير كما قال تعالى (وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزى المحسنين) قال مجاهد وقتادة (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) يعنى الثناء الحسن . قال مجاهد كقوله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) الآية وكقوله (وآتيناه أجره فى الدنيا) الآية ، قال ليث بن أبى سليم كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة . وقوله تعالى (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى أنعم على فى الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدى وفى الآخرة بأن تجعلنى من ورثة جنة النعيم . وقوله (واغفر لأبى) الآية كقوله (ربنا اغفر لى ولوالدى) وهذا مما رجع عنه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه — إلى قوله — إن إبراهيم لأواه حليم) وقد قطع تعالى الالحاق فى استغفاره لأبيه فقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه — إلى قوله — وما أملك لك من الله من شىء) وقوله (ولاتخزنى يوم يبعثون) أى أجرنى من الخزى يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم . وقال البخارى عند هذه الآية : قال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبى ذئب عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يلقى إبراهيم يوم القيامة أباه عليه الغبرة والقترة » وفى رواية أخرى حدثنا إسماعيل حدثنا أخى عن ابن أبى ذئب

عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يلقى إبراهيم أباه فيقول يا رب إنك وعدتنى أن لاتخزنى يوم يبعثون فيقول الله تعالى إنى حرمت الجنة على الكافرين » هكذا رواه عند هذه الآية . وفى أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردا به ولفظه « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصينى فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتنى أن لاتخزنى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد فيقول الله تعالى إنى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا إبراهيم انظر تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار » ورواه عبد الرحمن النسائى فى التفسير من سننه الكبير

وقوله (ولا تخزنى يوم يبعثون) أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنى أبى حدثنى إبراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة وقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتنى ، قال لكنى اليوم لا أعصيك واحدة ، قال يارب وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون فان أخزيت أباه فقد أخزيت الأبعد . قال يا إبراهيم إنى حرمتها على الكافرين فأخذ منه . قال يا إبراهيم أين أبوك ؟ قال أنت أخذته منى ، قال انظر أسفل منك فنظر فإذا ذيخ يتمرغ فى نتنه فأخذ بقوائمه فألقى فى النار » وهذا إسناد غريب وفيه نكارة والذيخ هو الذكر من الضباع كأنه حول آذر إلى صورة ذيخ متلطخ بعذرته فيلقى فى النار كذلك . وقد رواه البزار بإسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ وفيه غرابه . ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبى سعيد عن النبى ﷺ بنحوه وقوله : (يوم لاينفع مال ولا بنون) أى لا يقى المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبا (ولا بنون) أى ولو افتدى بمن على الأرض جميعا ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبرى من الشرك وأهله ولهذا قال (إلا من أتى الله بقلب سليم) أى سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وقال ابن عباس (إلا من أتى الله بقلب سليم) القلب السليم أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وقال مجاهد والحسن وغيرهما (بقلب سليم) يعنى من الشرك ، وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى (فى قلوبهم مرض) قال أبو عثمان النيسابورى هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

(وأزلفت الجنة) أى قربت وأدنيت من أهلها مزخرفة مزينة لناظريها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما فى الدنيا وعملوا لها فى الدنيا (وبرزت الجحيم للغاوين) أى أظهرت وكشف عنها وبدت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لأهلها تقريعا وتوبيخا (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) أى ليست الآلهة التى عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغنى عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها فانكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون ، وقوله (فكبكبوا فيها هم والغاوون) قال مجاهد يعنى فدهوروا فيها.

وقال غيره كبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد أنه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك (وجنود إبليس أجمعون) أى ألقوا فيها عن آخرهم (قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أى يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ، ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة (تالله إن كنا لفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أى نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين (وما أضلنا إلا المجرمون) أى مادعانا إلى ذلك إلا المجرمون (فما لنا من شافعين) قال بعضهم يعنى من الملائكة كما يقولون (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) وكذا قالوا (فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم) أى قريب : قال قتادة يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) وذلك أنهم يتمنون أنهم يردون إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون والله تعالى يعلم أنهم لو ردوا إلى دار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون، وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار فى سورة ص ثم قال تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) ثم قال تعالى (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى إن فى محاجة إبراهيم لقومه وإقامة الحجج عليهم فى التوحيد لآية أى لدلالة واضحة جلية على أن لا إله إلا الله (وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد فبعثه الله ناهيا عن ذلك ومحذرا من وبيل عقابه فكذبه قومه فاستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة فى عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ، ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلهذا قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) أى ألا تخافون الله فى عبادتكم غيره (إنى لكم رسول أمين) أى إنى رسول من الله إليكم أمين فيما بعثنى الله به أبلغكم رسالات ربى ولا أزيد فيها ولا أنقص منها (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر) الآية أى لا أطلب منكم جزاء على نصحى لكم بل أدخر ثواب ذلك عند الله (فاتقوا الله وأطيعون) فقد وضح لكم وبان صدقى ونصحى وأمانتى فيما بعثنى الله به وائتمننى عليه

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

يقولون لا نؤمن لك ولا نتبعك ونتأسى فى ذلك بهؤلاء الأرذلين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أراذلنا ولهذا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأذلون * قال وما علمى بما كانوا يعملون) أى وأى شىء يلزمنى من اتباع هؤلاء لى ولو كانوا على أى شىء كانوا عليه لا يلزمنى التنقيب عنهم والبحث والفحص إنما على أن أقبل منهم تصديقهم إياى وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل (إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون * وما أنا بطارد المؤمنين) كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك وقال (وما أنا بطارد المؤمنين * إن أنا إلا نذير مبين) أى إنما بعثت نذيرا فمن أطاعنى واتبعنى وصدقنى كان منى وأنا منه سواء كان شريفا أو وضيعا ، أو جليلا أو حقيراً

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ * إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

لما طال مقام نبى الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا فى الآخر (لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين) أى لئن لم تنته من دعوتك إيانا إلى دينك (لتكونن من المرجومين) أى لنرجمنك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال (رب إن قومى كذبون * فافتح بينى وبينهم فتحاً) الآية كما قال فى الآية الأخرى (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) إلى آخر الآية. وقال ههنا (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون * ثم أغرقنا بعد الباقين) والمشحون هو الملوء بالأمتعة والأزواج التى حمل فيها من كل زوجين اثنين أى أنجينا نوحا ومن اتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام انه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الأحقاف وهى جبال الرمل قريباً من حضرموت متاخمة بلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال فى سورة الأعراف (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة) وذلك أنهم كانوا فى غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول المديد والأرزاق الدارة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله هوداً إليهم رجلا منهم رسولا وبشيراً ونذيراً فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نقمته وعذابه فى مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه إلى أن قال (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) اختلف المفسرون فى الريع بما حاصله أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة يبنون هناك بنياناً محكماً هائلا باهراً ولهذا قال (أتبنون بكل ريع آية) أى معلما بناء مشهوراً (تعبثون) أى وإنما تفعلون ذلك عبثاً لا للاحتياج إليه بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان فى غير فائدة واشتغال بما لا يجدى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولهذا قال (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) قال مجاهد ، والمصانع البروج المشيدة والبنيان المخلد ، وفى رواية عنه بروج الحمام ، وقال قتادة هى مآخذ الماء . قال قتادة وقرأ بعض الكوفيين (وتتخذون مصانع كأنكم خالدون) وفى القراءة المشهورة (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أى لكى تقيموا فيها أبداً وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كما زال عمن كان قبلكم ، وروى ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أبى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثنى عون بن عبد الله بن عتبة أن أبا الدرداء رضى الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون فى الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام فى مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون ، ألا تستحيون ، تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون ، ويبنون فيوثقون ، ويأملون فيطيلون فأصبح أملهم غروراً ، وأصبح جمعهم بوراً ، وأصبحت مساكنهم قبوراً ، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا فمن يشترى منى ميراث عاد بدرهمين ؟ . وقوله (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) أى يصفهم بالقوة والغلظة

والجبروت (فاتقوا الله وأطيعون) أى اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ، ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى إن كذبتم وخالفتم ، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا نرجع عما نحن عليه (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين) وهكذا الأمر فان الله تعالى قال (إن الذين كفروا سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية وقولهم (إن هذا إلا خلق الأولين) قرأ بعضهم (إن هذا إلا خلق الأولين) بفتح الخاء وتسكين اللام ، قال ابن مسعود والعوفى عن عبد الله بن عباس وعلقمة ومجاهد يعنون ما هذا الذى جئتنا به إلا أخلاق الأولين كما قال المشركون من قريش (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) وقال (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون * فقد جاءوا ظلما وزورا * وقالوا أساطير الأولين) وقال (وقيل للذين كفروا ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) وقرأ آخرون (إن هذا إلا خلق الأولين) بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا (وما نحن بمعذبين) ، قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس (إن هذا إلا خلق الأولين) يقول دين الأولين . وقاله عكرمة وعطاء الخراسانى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله تعالى (فكذبوه فأهلكناهم) أى استمروا على تكذيب نبى الله هود ومخالفته وعناده فأهلكهم الله وقد بين سبب إهلاكه إياهم فى غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية أى ريحا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدا فكان سبب إهلاكهم من جنسهم فإنهم كانوا أعتى شىء وأجبره فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد) وهم عاد الأولى كما قال تعالى (وأنه أهلك عادا الأولى) وهم من نسل إرم بن سام بن نوح (ذات العماد) الذين كانوا يسكنون العمد ، ومن زعم أن إرم مدينة فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى لم يخلق مثل هذه القبيلة فى قوتهم وشدتهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التى لم يبن مثلها فى البلاد وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون) وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا مقدار أنف الثور ، عتت على الخزنة فأذن الله لها فى ذلك فسلكت فحصبت بلادهم فحصبت كل شىء لهم كما قال تعالى (تدمر كل شىء بأمر ربها) الآية وقال تعالى (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية - إلى قوله - حسوما - أى كاملة - فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى بقوا أبدانا بلا رءوس وذلك أن الريح كانت تأتى الرجل منهم فتقتلعه وترفعه فى الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد كانوا تحصنوا فى الجبال والكهوف والمغارات وحفروا لهم فى الأرض إلى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئا (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) ولهذا قال تعالى (فكذبوه فأهلكناهم) الآية

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾

وهذا إخبار من الله عزوجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام أنه بعثه إلى قومه ثمود وكانوا عربا يسكنون مدينة الحجر التى بين وادى القرى وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة ، وقد قدمنا فى سورة الأعراف الأحاديث المروية فى مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام فوصل إلى تبوك ثم عاد إلى المدينة ليتأهب لذلك . وكانوا بعد عاد وقبل الخليل عليه السلام . فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عزوجل أن يعبدوه وحده لاشريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغى بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عزوجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

يقول لهم واعظالهم ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم ومذكرا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة وجعلهم فى أمن من المحذورات . وأنبت لهم من الجنات . وفجر لهم من العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات ولهذا قال (ونخل طلعها هضيم) قال العوفى عن ابن عباس أينع وبلغ فهو هضيم ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ونخل طلعها هضيم) يقول معشبة وقال إسماعيل بن أبى خالد عن عمرو بن أبى عمرو — وقد أدرك الصحابة — عن ابن عباس فى قوله (ونخل طلعها هضيم) قال إذا رطب واسترخى رواه ابن أبى حاتم ثم قال : وروى عن أبى صالح نحو هذا وقال أبو إسحاق عن أبى العلاء (ونخل طلعها هضيم) قال هو المذنب من الرطب وقال مجاهد : هو الذى إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر . وقال ابن جريج سمعت عبد الكريم أنبأنا أمية سمعت مجاهدا يقول (ونخل طلعها هضيم) قال : حين يطلع تقبض عليه فتهضمه فهو من الرطب الهضيم ومن اليابس الهشيم تقبض عليه فتهشمه . وقال عكرمة وقتادة : الهضيم الرطب اللين . وقال الضحاك : إذا كثر حمل الثمرة وركب بعضها بعضا فهو هضيم وقال مرة هو الطلع حين يتفرق ويخضر . وقال الحسن البصرى هو الذى لانوى له ، وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضيم

وقوله (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) قال ابن عباس وغير واحد يعنى حاذقين . وفى رواية عنه شرهين أشرين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فانهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة فى الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال (فاتقوا الله وأطيعون) أى أقبلوا على ما يعود نفعه عليكم فى الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم لتعبدوه وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلا (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) يعنى رؤساءهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق

﴿ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ * قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن ثمود فى جوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة ربهم عز وجل أنهم (قالوا إنما أنت من المسحرين) قال مجاهد وقتادة يعنون من المسحورين ، وروى أبو صالح عن ابن عباس (من المسحرين)

يعنى من المخلوقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر :

فإن تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الأنام المسحر

يعنى الذين لهم سحر والسحر هو الرئة ، والأظهر فى هذا قول مجاهد وقتادة أنهم يقولون إنما أنت فى قولك هذا مسحور لا عقل لك ، ثم قالوا (ما أنت إلا بشر مثلنا) يعنى فكيف أوحى إليك دوننا كما قالوا فى الآية الأخرى (أأنزل عليه الذكر من بيننا ؟ بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه مما جاء هم به من ربهم ، وقد اجتمع ملؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء — وأشاروا إلى صخرة عندهم — من صفتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبى الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبى الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التى أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التى وصفوها فآمن بعضهم وكفر أكثرهم (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) يعنى ترد ماءكم يوما ويوما تردونه أنتم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) فحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء ، فكثت الناقة بين أظهرهم حينا من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والرعى وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شربا وريا ؛ فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم تمالئوا على قتلها وعقرها (فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب) وهو أن أرضهم زلزلت زلزالا شديدا وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون وأصبحوا فى ديارهم جاثمين (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخى إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة فى حياة إبراهيم عليهما السلام ، وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التى أهلكها الله بها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهى مشهورة ببلاد الغور متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك ؛ فدعاهم إلى الله عزوجل أن يعبدوه وحده لا شريك له ؛ وأن يطيعوا رسولهم الذى بعثه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه فى العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث ولهذا قال تعالى

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

لما نهاهم نبى الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتى خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له إلا أن قالوا (لئن لم تنته يا لوط) أى عما جئتنا به (لتكون من المخرجين) أى لننفيك من بين أظهرنا كما قال تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) فلما رأى أنهم لا يرتدعون

عماهم فيه وأنهم مستمرون على ضلالتهم تبرأ منهم وقال ﴿إني نعمتكم من القالين﴾ أي البغضين لا أحبه ولا أرضى به وإني بريء منكم ثم دعا الله عليهم فقال (رب نجني وأهلي مما يعملون) قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين) أي كلهم (إلا عجوزاً في الغابرين) وهي امرأته وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأعراف وهود وكذا في الحجر حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته وأنهم لا يلتفتوا إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه فصبروا لأمر الله واستمروا وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال تعالى (ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطراً — إلى قوله — وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

هؤلاء — يعني أصحاب الأيكة — هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وإنما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة وهي شجرة وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب وإنما قال (إذ قال لهم شعيب) فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا اليه وإن كان أخاهم نسبا. ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين فزعم أن شعيبا عليه السلام بعثه الله إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم. وقد روى إسحق بن بشر الكاهلي — وهو ضعيف — حدثني ابن السدي عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خصيف عن عكرمة قالا: ما بعث الله نبيا مرتين إلا شعيبا مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة، وروى أبو القاسم البغوي عن هدبة عن همام عن قتادة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) قوم شعيب وقوله (وأصحاب الأيكة) قوم شعيب، وقاله إسحق بن بشر. وقال غير جويبر أصحاب الأيكة ومدين هما واحد والله أعلم. وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شعيب من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبي هلال عن زبيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا النبي عليه السلام» وهذا غريب وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقوفا، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة

﴿أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

يأمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان وينهاهم عن التطفيف فيهما فقال (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أي إذا دفعتم للناس فكملوا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصا وتأخذوه إذا كان لكم تاما وافيا ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون (وزنوا بالقسطاس المستقيم) والقسطاس هو الميزان وقيل هو القبان. قال بعضهم هو معرب من الرومية. قال مجاهد القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية، وقال قتادة القسطاس العدل، وقوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم أموالهم (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني قطع الطريق كما قال في الآية الأخرى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) وقوله (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) يخوفهم بأس الله

الذى خلقهم وخلق آباءهم الأوائل كما قال موسى عليه السلام (ربكم ورب آبائكم الأولين) قال ابن عباس ومجاهد والسدى وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والجبلة الأولين) يقول خلق الأولين . وقرأ ابن زيد (ولقد أضل منكم جبلا كثيراً)

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا (إنما أنت من المسحرين) يعنون من المسحورين كما تقدم (وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين) أى تتعمد الكذب فيما تقوله لأن الله أرسلك إلينا (فأسقط علينا كسفا من السماء) قال الضحاك : جانبا من السماء ، وقال قتادة قطعا من السماء وقال السدى عذابا من السماء . وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) إلى أن قالوا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) وقوله (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية ، وهكذا قال هؤلاء الكفار الجهلة (فأسقط علينا كسفا من السماء) الآية (قال ربى أعلم بما تعملون) يقول الله أعلم بكم فان كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألوا جزاء وفاقا ولهذا قال تعالى (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وهذا من جنس ماسألوه من إسقاط الكسف عليهم ، فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكنهم منه شىء ، ثم أقبلت اليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون اليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولهبا ووهجا عظيما ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم ولهذا قال تعالى (إنه كان عذاب يوم عظيم) . وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم فى ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ففى الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا) فأرجفوا نبى الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة ، وفى سورة هود قال (فأخذتهم الصيحة) وذلك لأنهم استهزءوا بنبى الله فى قولهم (أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال (فأخذتهم الصيحة) الآية ، وههنا قالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) الآية على وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) قال قتادة: قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى مايظلهم منه شىء ، ثم إن الله تعالى أنشأ لهم سحابة فانطلق اليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومه فأتوها جميعا فاستظلوا تحتها فأججت عليهم نارا ، وهكذا روى عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، بعث الله اليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى ، وقال محمد بن كعب القرظى : إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة فى دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال مارأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد من هذا ، هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ثم تلا محمد بن كعب (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وقال محمد بن جرير: حدثنى الحارث حدثنى الحسن حدثنى سعيد بن

زيد أخو حماد بن زيد حدثنا حاتم بن أبي صغيرة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية (فأخذهم عذاب يوم الظلة) الآية قال بعث الله عليهم رعدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرابا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارا. قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم) أي العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ (وإنه) أي القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) الآية (لتنزيل رب العالمين) أي أنزله الله عليك وأوحاه إليك (نزل به الروح الأمين) وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهري وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه . قال الزهري وهذه كقوله (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه) وقال مجاهد : من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض (على قلبك لتكون من المنذرين) أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى (على قلبك) يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص (لتكون من المنذرين) أي لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه وتبشر به المؤمنين المتبعين له وقوله تعالى (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بينا واضحا ظاهرا قاطعا للعذر مقيما للحجة دليلا إلى المحجة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر العتكي حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن موسى بن محمد عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن إذ قال لهم « كيف ترون بواسقها » قالوا ما أحسنها وأشد ترا كمها قال « فكيف ترون قواعدها ؟ » قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال « فكيف ترون جربها » قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال « فكيف ترون رحاها استدارت » قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال « فكيف ترون برقها أوميض أم خفق أم يشق شقا ؟ » قالوا بل يشق شقا قال « الحياء الحياء إن شاء الله » قال فقال رجل يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحك ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال « حق لي وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول (بلسان عربي مبين) » وقال سفيان الثوري . لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن دخل الجنة تكلم بالعربية رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملئه بالبشارة بأحمد (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) والزبر ههنا هي الكتب وهي جمع زبور وكذلك الزبور وهو كتاب داود ، وقال الله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) أي مكتوب عليهم في صحف الملائكة ثم قال تعالى (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) أي أوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرءان في كتبهم التي يدرسونها والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن

منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي ممن آمن منهم ومن شاكلهم قال الله تعالى في الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآية ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن أنه لو نزل على رجل من الأعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته لا يؤمنون به ولهذا قال (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) كما أخبر عنهم في الآية الأخرى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) الآية ؛ وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى) الآية وقال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية

﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

يقول تعالى كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد أي أدخلناه في قلوب المجرمين (لا يؤمنون به) أي بالحق (حتى يروا العذاب الأليم) أي حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولم اللعنة ولهم سوء الدار (فيأتيهم بغتة) أي عذاب الله بغتة (وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) أي يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب — إلى قوله — مالكم من زوال) فكل ظالم وفاجر وكافر إذ شاهد عقوبته ندم ندما شديدا ؛ هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا — إلى قوله — قال قد أجيبت دعوتكما) فأثرت هذه الدعوة في فرعون فما آمن حتى رأى العذاب الأليم (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل — إلى قوله — وكنت من المفسدين) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيات وقوله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون) إنكار عليهم وتهديد لهم فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيباً واستبعاداً : ائتنا بعذاب الله ، كما قال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) الآيات ثم قال (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي لو أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهة من الدهر وحينا من الزمان وإن طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) وقال تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى) ولهذا قال تعالى (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

وفي الحديث الصحيح « يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت خيراً قط ؟ هل رأيت نعيما قط ؟ فيقول لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسا كان في الدنيا فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط ؟ فيقول لا والله يارب » أي ما كأن شيئاً كان . ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب

ثم قال تعالى مخبراً عن عدله في خلقه أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الاعذار اليهم ، والانذار لهم وبعثة الرسل اليهم ، وقيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين) كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا — إلى قوله — وأهلها ظالمون)

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله (وما تنزلت به الشياطين) ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغى لهم أى ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة . ولهذا قال تعالى (وما ينبغى لهم) وقوله تعالى (وما يستطيعون) أى ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا فى مدة إنزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه لئلا يشتبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه ، وتأييده لكتابه ولرسوله ، ولهذا قال تعالى (إنهم عن السمع لمعزولون) كما قال تعالى مخبرا عن الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * — إلى قوله — أم أراد بهم ربهم رشدا)

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرا أن من أشرك به عذبه . ثم قال تعالى آمرا لرسوله ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين أى الأدنين إليه : وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل ، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين . ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتبرأ منه ولهذا قال تعالى (فان عصوك فقل إنى برىء مما تعملون) وهذه النذارة الخاصة لا تنافى العامة بل هى فرد من أفرادها كما قال تعالى (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) وقال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) وقال تعالى (لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) وقال تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) كما قال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وفى صحيح مسلم « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار » وقد وردت أحاديث كثيرة فى نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها ﴿ الحديث الأول ﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى لؤى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا نعم . قال « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله (تبت يدا أبى لهب وتب) ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن الأعمش به ﴿ الحديث الثانى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام رسول الله ﷺ فقال « يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب

لا أملك لكم من الله شيئا سلونى من مالى ما شئتم » انفرد بإخراجه مسلم ﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يامعشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها » ورواه مسلم والترمذى من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال الترمذى غريب من هذا الوجه ، ورواه النسائى من حديث موسى بن طلحة مرسلا ولم يذكر فيه أبا هريرة ، والموصول هو الصحيح ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعنى بن إسحق عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئا ، سلانى من مالى ما شئتما » تفرد به من هذا الوجه . وتفرد به أيضا عن معاوية عن زائدة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه ، ورواه أيضا عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعا . وقال أبو يعلى حدثنا سويد ابن سعيد حدثنا ضمام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « يا بنى قصى يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أنا النذير والموت المغير . والساعة الموعد » . ﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد التيمى عن أبى عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد رسول الله ﷺ رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادى « يا بنى عبد المناف إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه » ورواه مسلم والنسائى من حديث سليمان ابن طرخان التيمى عن أبى عثمان عبد الرحمن بن سهل النهدى عن قبيصة وزهير بن عمرو الهلالى به .

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدى عن على رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) جمع النبى ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم « من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون معى فى الجنة ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » فقال رجل لم يسمه شريك يارسول الله أنت كنت بحرى من يقوم بهذا ، قال ثم قال لآخر ـ ثلاثا ـ قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال على أنا ﴿ طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ماجد عن على رضى الله عنه قال . جمع رسول الله ﷺ ـ أو دعا رسول الله ﷺ ـ بنى عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال « يابنى عبد المطلب إنى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى » قال فلم يقم إليه أحد، قال فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال : فقال « اجلس » ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لى « اجلس » حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى ﴿ طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يوسف بن بكير عن محمد بن إسحق قال : حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمنى اسمه عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) قال رسول الله ﷺ « عرفت أنى إن بادرت بها قومى رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءنى جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك » قال على رضى

الله عنه فدعانى فقال ياعلى « إن الله تعالى قد أمرنى أنذر عشيرتى الأقربين فعرفت أنى إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءنى جبريل فقال يامحمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك : فاصنع لنا ياعلى شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب » ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ جذبة فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه مايرى إلا آثار أصابعهم . والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم ياعلى » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبولهب إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ « ياعلى عد لنا بمثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم ياعلى » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبولهب بالكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم : فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد : قال رسول الله ﷺ « ياعلى عدلنا بمثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك العقب حتى نهلوا عنه ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال رسول الله ﷺ « يابنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة » قال أحمد بن عبد الجبار بلغنى أن ابن إسحق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبى مريم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث :

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحق عن عبد الغفار بن القاسم أبى مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن على بن أبى طالب فذكر مثله وزاد بعد قوله « إنى جئتكم بخير الدنيا والآخرة : وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى وكذا وكذا ؟ » قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت — وإنى لأحدثهم سناً وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا — أنا يانبى الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتى ثم قال « إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » ثم قام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع . تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم أبى مريم وهو متروك كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله ﴿طريق أخرى﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثى حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث قال : قال على رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال لى رسول الله ﷺ « اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا » قال ففعلت ثم قال لى « ادع بنى هاشم » قال فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها ، قال فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال « كلوا » فأكلوا حتى شبعوا وهى على هيئتها لم يزدر دوا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالاناء فشربوا حتى رووا ، قال وفضل فضل ، فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا مارأينا كاليوم فى السحر . فسكت رسول الله ﷺ ثم قال « اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوا قال فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولى فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم الكلام فقال « أيكم يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت أنا يارسول الله قال وإنى يومئذ لأسوأهم هيئة وإنى لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين ، فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن على رضى الله عنه ، ومعنى سؤاله ﷺ لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه فى أهله يعنى إن قتل فى سبيل الله ، كأنه حتى إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فعند ذلك أمن وكان أولا يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ولم يكن أحد فى بنى هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا وتصديقا لرسول الله ﷺ من على رضى الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ماطلب منهم رسول الله ﷺ ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطون قريش عموما وخصوصا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى أى إنما أنا نذير والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الواحد الدمشقى من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة عن عبد الواحد الدمشقى قال رأيت أبا الدرداء رضى الله عنه يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس فى جانب المسجد يتحدثون فقيل له مابال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أزهد الناس فى الدنيا الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون » وذلك فيما أنزل الله عزوجل قال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين - إلى قوله - فقل إنى برىء مما تعملون) ، وقوله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) أى فى جميع أمورك فانه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك ومعلى كلمتك ، وقوله تعالى (الذى يراك حين تقوم) أى هو معتن بك كما قال تعالى (فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) قال ابن عباس (الذى يراك حين تقوم) يعنى إلى الصلاة ، وقال عكرمة يرى قيامه وركوعه وسجوده ، وقال الحسن (الذى يراك حين تقوم) إذا صليت وحدك ، وقال الضحاك (الذى يراك حين تقوم) أى من فراشك أو مجلسك . وقال قتادة (الذى يراك) قائما وجالسا وعلى حالاتك وقوله تعالى (وتقلبك فى الساجدين) قال قتادة (الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) قال فى الصلاة يراك وحدك ويراك فى الجمع . وهذا قول عكرمة وعطاء الخراسانى والحسن البصرى وقال مجاهد كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه . ويشهد لهذا ماصح فى الحديث « سووا صفوفكم فإنى أراكم من وراء ظهرى » وروى البزار وابن أبى حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية يعنى تقلبه من صلب نبى إلى صلب نبى حتى أخرجه نبيا وقوله تعالى (إنه هو السميع العليم) أى السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم كما قال تعالى (وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) الآية .

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا لمن زعم من المشركين أن ماجاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شىء افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به رئى من الجان فنزه الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه أن ماجاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم ليس لهم رغبة فى مثل هذا القرآن العظيم

وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة . ولهذا قال الله تعالى (هل أنبئكم) أى أخبركم (على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) أى كذوب فى قوله وهو الأفاك (أثيم) وهو الفاجر فى أفعاله . فهذا هو الذى تنزل عليه الشياطين من الكهان وماجرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، فان الشياطين أيضا كذبة فسقة (يلقون السمع) أى يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس فى كل ماقالوه بسبب صدقهم فى تلك الكلمة التى سمعت من السماء كما صح بذلك الحديث ، كما رواه البخارى من حديث الزهرى أخبرنى يحيى بن عروة بن الزبير أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة رضى الله عنها : سأل ناس النبى ﷺ عن الكهان فقال « إنهم ليسوا بشىء » قالوا يارسول الله فانهم يحدثون بالشىء يكون حقا ، فقال النبى ﷺ « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة » . وروى البخارى أيضا حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أباهريرة يقول : إن النبى ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير ، فيسمعها مسترقوا السمع ، ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض — وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » تفرد به البخارى . وروى مسلم من حديث الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قريباً من هذا وسيأتى عند قوله تعالى فى سبأ (حتى إذا فزع عن قلوبهم) الآية . وقال البخارى وقال الليث حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال أن أبا الأسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الملائكة تحدث فى العنان — والعنان الغمام — بالأمر فى الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها فى أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة » ورواه البخارى فى موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبى زيد عن الليث عن عبدالله بن أبى جعفر عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه وقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن ، وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وقال عكرمة كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس ولهذا فئام من الناس فأنزل الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهاد عن يحنس مولى مصعب بن الزبير عن أبى سعيد قال : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال النبى صلى الله عليه وسلم « خذوا الشيطان — أو أمسكوا الشيطان — ، لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خيرله من أن يمتلىء شعراً » وقوله تعالى (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقال الضحاك عن ابن عباس فى كل فن من الكلام ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصرى قد والله رأينا أوديتهم التى يخوضون فيها مرة فى شتيمة فلان ومرة فى مديحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوماً بباطل ويذم قوماً بباطل . وقوله تعالى (وأنهم يقولون مالا يفعلون) قال العوفى عن ابن عباس كان رجلان على عهد رسول الله أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وإنهما تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون) . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنه هو الواقع فى نفس الأمر . فان الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم ، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر فى شعره بما يوجب حدا هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون مالا يفعلون ؟ على قولين . وقد

ذكر محمد بن إسحق ومحمد بن سعد فى الطبقات والزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية * ورقاصة تحنو على كل مبسم
فان كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى * ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أى والله إنه ليسوءنى ذلك ومن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وكتب اليه عمر (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير) ﴿ أما بعد ﴾ فقد بلغنى قولك

لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

وايم الله إنه ليسوؤنى وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شىء طفح على لسانى . فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لى عملا أبدا . وقد قلت ما قلت فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكنه ذمه عمر رضى الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ، ولهذا جاء فى الحديث « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلىء شعراً » والمراد من هذا أن الرسول ﷺ الذى أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين) وهكذا قال ههنا (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) إلى أن قال (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) إلى أن قال (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ؟ وأنهم يقولون ما لا يفعلون) وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الدارى قال لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى ﷺ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » (وذكروا الله كثيراً) قال « أنتم » (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال « أنتم » رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحق وقد روى ابن أبى حاتم أيضا عن أبى سعيد الأشج عن أبى أسامة عن الوليد بن أبى كثير عن يزيد بن عبد الله عن أبى الحسن مولى بنى نوفل أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول الله ﷺ حين أنزلت هذه الآية (والشعراء يتبعهم الغاوون) يبكيان فقال رسول الله ﷺ وهو يقرؤها عليهما (والشعراء يتبعهم الغاوون) حتى بلغ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » وقال أيضاً حدثنا أبى حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى قوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله أنى منهم فأنزل الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار ؟ وفى ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً فى مقابلة ما تقدم من الكلام السيىء . فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام

وأهله فى مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبد الله بن الزبعرى حين أسلم .

يارسول المليك إن لسانى * راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذأجارى الشيطان فى سنن الغى * ى ومن مال ميله مثبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ وهو ابن عمه وأكثرهم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجوه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه ،وهكذا روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن قال « نعم » قال : معاوية تجعله كاتبا بين يديك قال « نعم » قال وتؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال « نعم » وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) قيل معناه ذكروا الله كثيراً فى كلامهم وقيل فى شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق وقوله تعالى (وانتصروا من بعد ماظلموا) قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم ـ أوقال ـ هاجهم وجبريل معك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبى ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » وقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) كقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) الآية ، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة بن دعامة فى قوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) يعنى من الشعراء وغيرهم ، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا إياس بن أبى تميمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصرانى فقال (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وقال عبد الله ابن أبى رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) . وقال ابن وهب أخبرنى ابن سريج الاسكندرانى عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتوون عليها أو يصطلون إذا بركبان قد أقبلوا فقاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم ـ قال ـ وصاحب لنا قائم يصلى حتى مر بهذه الآية (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخربون البيت . وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة فى كل ظالم كما قال ابن أبى حاتم. ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطى حدثنى الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : كتب أبى فى وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظنى به ورجائى فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين.

﴿ تفسير سورة النمل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ